غياب المظهر الإسلامي لدى الفتيات
دلالاته ووسائل التحصين

إعداد:
نوف الناهض

مؤسسة وقف دعوتها
ثبات للاستشارات
مهيئ
البرنامج التأهيلي المهاري

عناصر البحث

مقدمة

المقصود بالمظهر الإسلامي

هل هناك مظهر إسلامي محدد؟

صور غياب المظهر الإسلامي

أهمية المظهر

دلالات التحولات في المظهر

١. التأثر بالعولمة

٢. مشاهدة الأفلام الأجنبية

٣. الجهل بأحكام اللباس والحجاب ومقاصده

٤. الانبهار بالتفوق التقني الغربي مقابل الجهل بانهيار قيمه الأخلاقية

٥. غياب القدوات الصالحة المؤثرة

سبل التحصين

١. تحقيق الاعتزاز بالنفس

٢. تحقيق روح الجماعة

٣. تحقيق الاعتزاز بالإسلام

٤. فضح الثقافة الغربية وإبراز معايبها

٥. بيان خطر العولمة والدعوة للتمسك بالهوية الثقافية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

لا يختلف اثنان في أن القاطن في المملكة العربية السعودية يلاحظ تغيرات متسارعة في سلوكيات المأكل والمشرب والملبس، تغيرات تتنوع بين الإيجابي والسلبي ولكنها جميعا تشهد بوصول مد العولمة واقتحامه أسوار المدن والقرى. ومن هذه التغيرات ما يشاهد في المظهر الخارجي للفتيات المغاير للمظهر الإسلامي. وهذا التغير يثير تساؤل المربين والمربيات حول أسبابه وكيفية التعامل معه. خاصة إذا كانت مشاهدًا في ببيئات وأسر محبة للدين والعلم. في هذا البحث نحاول تقصي دلالات غياب المظهر الإسلامي ووسائل التحصين من ناحية الفرد المتأثر ذاته، أي تقصيا قريبا ينظر للواقع الذي يمكن معالجته، بعيدًا عن الخوض في مسائل هي في الحقيقة أسباب لغياب المظهر الإسلامي ولكنها في خارج نطاق الممكن تصحيحه.

ولا شك أن معالجة الأفكار أكثر أهمية من معالجة المظهر، ومن هنا جاءت أهمية البحث حيث إن مشكلة البحث هي التفتيش وراء الأفكار والممارسات الكامنة وراء هذا التحول في المظهر؛ ليمكن معالجتها ومناقشة الفتيات حولها وتصحيح الفهوم الخاطئة المسببة لها. فالمظهر له أهمية، وأهميته تكمن في تعبيره عن الذات والنفس. وإلا فليس المظهر هو المحك، والذي عليه المحك هو القلب بما فيه من قيم ومعتقدات. فقد تجد الفتاة تلبس الطويل المحتشم، ليس لأجل قيمة أخلاقية وإنما لأن الموضة هذه السنة كذلك. وقد تجد الشاب يعفون لحاهم ليس اتباعا للسنة وإنما اتباعا للموضة.

وقد دونت بعض الدلالات وبعض وسائل التحصين وفق ما أراه وحرصت على جمع الأدلة المؤيدة لرأيي في كون هذا العامل سببا في غياب المظهر الإسلامي. ولا أكتم أني لاقيت جهدًا في الوصول إلى مراجع ودراسات تخدم موضوع البحث. وأعتقد أن الموضوع بحاجة لمزيد من الدراسة الميدانية، خاصة مع تجدد وسائل الإعلام والبرامج الموجهة للفكر كالتيك توك والسناب شات وقنوات المشهورات. وما بقي من الموضوع أكثر مما عُرض، ولكني أرجو من الله أن يكتب له القبول والنفع.

تم بحمد الله وتيسيره ليلة الأربعاء ١٧ صفر ١٤٤١

المطلب الأول: المقصود بالمظهر الإسلامي

المظهر لغة كما في المعجم الوسيط الصورة التي يبدو عليها الشيءُ.

والإسلامي منسوب إلى الإسلام وهو الدين الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم[1]، وهو دين الفطرة ودين الأنبياء جميعًا.

والمظهر الإسلامي للفتاة يراد به الصورة الخارجية التي تظهر بها للناس، سواء بين محارمها وبنات جنسها أو في الأماكن المفتوحة. فيشمل اللباس داخل المجتمعات النسائية، والحجاب الذي تضعه في الطرقات والأسواق ونحوها، وبه يعرف التزامها بشريعة الإسلام.

---

[1] شرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ صالح العصيمي

المطلب الثاني: هل هناك مظهر إسلامي محدد؟

لم يقرر الإسلام للناس نوعا خاصا من اللباس، بل اعترف بشرعية كل لباس ما دام يؤدي الدور المطلوب منه بدون اعتداء ولا تجاوز. ورسول الله صلى الله عليه وسلم لبس الألبسة التي كانت موجودة في زمانه، ولم يأمر بلباس محدد ولم ينه عن لباس محدد، وإنما نهى عن صفات محددة في اللباس.[١]

فجاء الإسلام بقواعد في اللباس من ناحية اجتماعية وخُلقية، لتقوم كل أمة بإصلاح لباسها وطريقة معيشتها بحسب هذه القواعد الأساسية لا غير. كقاعدة حدود العورة، وقاعدة النهي عن التزين بما يوحي بالعجب والكبرياء ولين العيش. "فهذه المعايب إذا تجنبها الناس في ملابسهم، فإن أي لباس له رواج في بلادهم ومجتمعهم هو اللباس الإسلامي بالنسبة لهم.[٢]

وفي عصرنا، يمكن بلا تكلف تمييز المسلمة –المتمسكة بتعاليم الإسلام– بمظهرها، وذلك للاختلاف الكبير بين ما تمليه تعاليم الإسلام وبين ما آلت إليه الأزياء تدريجيا بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩.

وأما ما قبل هذا التاريخ فإن الصور التي التقطت قبل الثورة الفرنسية من مناطق متعددة في العالم تثبت أن الاحتشام كان سمة عالمية[٣] بحيث قد لا يمكن التمييز بين المسلمة وغيرها في الثياب.

---

[١] موقع دليل المسلم الجديد

[٢] د. محمد عبد العزيز عمرو – اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ص ٢٠٦

[٣] عبد الله الداوود– هل يكذب التاريخ، ص١٨

المطلب الثالث: صور غياب المظهر الإسلامي

يتمثل غياب المظهر الإسلامي في صورتين: الأولى التعري والسفور، والأخرى أساليب اللباس والزينة المستوردة أي الدخيلة على المجتمعات المسلمة. فمن صور غياب المظهر الإسلامي في الأماكن المفتوحة السفور وهو كشف الوجه والشعر في الأماكن العامة، والتبرج بتزيين الحجاب، أو تضييقه أو تقصيره إلى غيرها من الصور التي لا تحتاج إلى بيان لمن يخرج من بيته.

وأما في تجمعات النساء فيغيب المظهر الإسلامي بارتداء الألبسة العارية بما تشمله هذه الكلمة من أنماط متفرقة من التعري، وبالتزين بعمليات التجميل، والتخريم في مواضع غير معتادة، وتقصير الشعر بما يشابه الكافرات، وصبغ الشعر بألوان غريبة، والاسترجال وغيرها.

المطلب الرابع: أهمية المظهر

يخطئ من يظن أن اللباس مجرد شكل لا علاقة له بالجوهر، وأي شكل في الوجود لا يعبر عن مضمون كما يقول د.فريد الأنصاري!

إن الضوابط التي تحيط باللباس في الإسلام تعبر عن فلسفة عقدية وفكرية وحضارية، وليست مجرد شكليات.

إن قصة اللباس في الإسلام ترجع في أصلها إلى بداية الوجود البشري، أي قصة خلق أبي البشر آدم عليه السلام وزوجه حواء حين أمر الله الملائكة بالسجود لآدم تكريما له فسجدوا إلا إبليس أبى تكبرا عليه إعجابا بنفسه. فأخرجه الله من الجنة ولكنه أراد الانتقام من هذا الذي فضل عليه فسأل الله الإمهال إلى يوم البعث ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم. وأسكن الله آدم وزوجه الجنة وأباح لهما جميع ما فيها إلا شجرة واحدة حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره فوسوس لهما [1] وقد صرح القرآن بعلة وسوسة الشيطان لآدم وزوجه؛ أنها الرغبة في تعريتهما التعرية التامة! حتى تظهر لهما سوءاتهما، فيريان ذلك من أنفسهما معا! وليس أبعد في المنكر والخزي من أن يتعرى الإنسان ويكشف عن عورته على ملأ الناس! إذن تمسخ طبيعته التي فطر عليها من رتبة الإنسانية إلى درك البهيمية.[2]

---

[1] الشيخ عبد الرحمن السعدي- تفسير سورة الأعراف بتصرف

[2] د. فريد الأنصاري – سيماء المرأة في الإسلام بين النفس والصورة

وجاءت آية اللباس في سورة الأعراف تعقيبا على هذا العرض التاريخي. قال تعالى: (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ)

- فتشريع اللباس الإسلامي في هذا السياق يشير إلى عمق إنساني فهو رمز الأمانة التي حملها الإنسان وهي الاستخلاف في الأرض. ولذلك كان اللباس الإسلامي بالنسبة للرجال والنساء معا قائما على خدمة مقاصد كلية عظيمة في الدين وعلى احترام الوجود الإنساني، وعدم الإسفاف به أو السقوط به إلى دركات العيش الشهواني الصرف.[1] كل الأحكام الشرعية الواردة في الكتاب والسنة المتعلقة بلباس المرأة إنما هي راجعة إلى أصل قيمة النفس الإنسانية، فوجب أن تكون الصورة خادمة للنفس وليس العكس، كما هي فلسفة الحضارة المادة في الغرب اليوم. [2]
- فالشيطان سعى لتدمير المجتمع الإنساني الأول وقصد إلى تخريبه عن طريق نقض الفطرة الإنسانية، وتعرية الإنسان وتطبيعه على التعري، وخرق الحياء كقيمة إنسانية. لذا قال الله عز وجل: (فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما ...)

فكان لباس الجنة رمزًا للرضى الإلهي، وبمجرد ارتكابهما للخطيئة تحول ذلك إلى عري! فالعري هو رمز التمرد على الخالق. إنه إذن رمز الشيطان! قال الله عز وجل: (فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ١١٩ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ١٢٠ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ) طه:١١٧-١٢١

---

[1] سيماء المرأة ص ٣٤

[2] سيماء المرأة ٤٨

- "فالأمر الوارد بإعفاء اللحية بصورة مخصوصة لا بأي صورة، وكذا الأمر بالتزام قواعد معينة عند كل لباس؛ كل ذلك يخدم هذه الأصول التشريعية والعقدية المنطلقة من قصة آدم، والساعية إلى تمييز الإنسان المسلم عن عالم الخطيئة والعصيان الشيطاني، الذي انحدرت إليه أمم المجوس وأهل الكتاب من اليهود والنصارى. فقوله صلى الله عليه وسلم: (خالفوا المشركين! أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى!) وفي رواية لمسلم: (خالفوا المجوس)؛ ليس لتشكيل صورة قائمة على مجرد فن الديكور! كلا! بل هو لتمييز الصورة الإسلامية في سيمائها الحضارية، وانتمائها العقدي. إنها تعبر عن التبرؤ من النموذج الشيطاني الذي جر إليه إبليس اللعين الأمم الضالة لتغيير خلق الله، بما حكى عنه القرآن العظيم مفصلا بشكل عجيب! قال تعالى: (إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٩﴾)[1]

ومن ذلك حديث أبي أمامة، قال: خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم فقال: "يا معشر الأنصار حمروا وصفروا وخالفوا أهل الكتاب!" قال: فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟ فقال رسول الله ﷺ: "تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب!" قلنا:يا رسول الله إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون! فقال النبي ﷺ: "فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب!" فقلنا: يا رسول الله! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم (يعني لحاهم) ويوفرون سبالهم (يعني شواربهم) قال: فقال النبي ﷺ: " قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم! وخالفوا أهل الكتاب!" كل ذلك حرصا على تميز كيان الأمة المسلمة وذاتيتها، وحفظها من الذوبان في الأمم الأخرى.[2]

المطلب الخامس: دلالات التحولات في المظهر

١- التأثر بالعولمة

ترى الباحثة أن العولمة هي السبب الرئيس خلف الغياب المتسارع للمظهر الإسلامي في عصرنا، ويتفرع عنه ويعضده مسببات فرعية خارجية وداخلية. والعولمة مشروع لإعادة صياغة العالم وتوحيده طبقا للمواصفات الغربية في سبيل الهيمنة على العالم. فيسعى أن يتحدث الناس بلغة أو لغات مشتركة، وأن تكون التجارة مفتوحة بين كل بلدان العالم، بنظام اقتصادي واحد ونظام سياسي واحد، ويعتقد الناس عقيدة واحدة، ويحملون قيمًا مشتركة.

---

[1] سيماء المرأة ص ٥٦

[2] عثمان أحمد دوكلي- التدابير الواقية من التشبه بالكفار ص٧٤٤

وهي تعتمد على نوع من الوثنية المعاصرة؛ فهي تدعو إلى التعامل على أساس المصلحة وعدم إيلاء القيم الخلقية والدينية أي اهتمام، لأنها تعيق مشروعها الحضاري في الهيمنة الحضارية وبناء حضارة واحدة يتبعها الجميع.[1]

وتأكيدا لحقيقة العولمة ننقل تصريح الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون:" إن أمريكا تؤمن بأن قيمها صالحة لكل الجنس البشري، وإننا نستشعر أن علينا التزاما مقدسا لتحويل العالم إلى صورتنا "[2]وهذا بيان كاف لندرك حقيقة العلاقة بين غياب المظهر الإسلامي وبين أهداف الهيمنة الغربية.

ورياح العولمة بلغت معظم بقاع الأرض، فلا يكاد يوجد من لم يبصر غبارها. ولكن هناك من تأثر بها ومرض فبدأ مظهره الإسلامي يتوارى، وهناك من سلم. فما الذي ينم عنه غياب المظهر الإسلامي لدى الفرد الواحد؟ وما علاقته بالعولمة؟ الجواب في العناوين التالية.

٢- مشاهدة الأفلام الأجنبية

يقول أدولف زكور: "كطريقة للدعاية السياسية، وكقناة للفكر والرأي، نجد أن الأفلام لا يجاريها أي شكل من أشكال الاتصال" ولهذا كان للولايات المتحدة الأمريكية تفوق واضح في صناعة الأفلام فهي تصدر إلى أوروبا سنويا مليونا ومئتي ألف ساعة من البرامج التلفازية[3] بما تحمله من ثقافات وأفكار بعيدة عن منطلقات الإسلام، ولا يملك المشاهد إلا الاستسلام لها لشدة جاذبيتها واستخدام الألوان والأصوات والمؤثرات التي يعرفها الإعلاميون أهل الاختصاص.

وإن المشاهد الذي تربى في بيئة ملتزمة بالإسلام قد يستنكر بادئ الأمر ما يراه في هذه الأفلام، ولكن الضرر يكمن في التعود، فتكرار رؤية المنكر عرفًا وشرعًا يضعف في قلبه بمرور الزمن الغيرة على الدين الحماسة لتغيير المنكر، فتترسب في الذهب الفلسفات الغربية، وتتلوث الفطرة، وتخدش البراءة. فالاطلاع على حال العصاة والمجرمين يهون على المطلع شان الذنوب ويحقرها في عينه.

و"ليس إعداء الجليس لجليسه بمقاله وفعله فقط بل بالنظر إليه" فالنظر في الصور يورث في النفوس أخلاقا مناسبة لخلق المنظور إليه، فالنظر إلى صور الظالمين أو الفاسقين لابد أن يطبع تأثيرا في القلب، ولذلك من رحمة الله

---

[1] ا.د. عبد الله العشي – ثقافة العولمة بوصفها خطابًا متطرفًا

[2] أ. د. جعفر شيخ إدريس – مقال العولمة وصراع الحضارات

[3] ا.د. عبد الكريم بكار– العولمة ص ٢٥

بالإنسان أن يعافيه من النظر إلى التلفزيون وإلى صور الملوك والرؤساء والممثلين والفنانين ونحوهم، فهؤلاء لا تنظر إليهم، حتى لا تتأثر بأخلاقهم" [1]

٣- الجهل بأحكام اللباس والحجاب ومقاصده

وهذا من أوضح الدلالات خاصة لدى الفتيات الأصغر سنًا. رغم أن المناهج الدراسية في المرحلة الابتدائية تحوي دروسا عن اللباس وآدابه، ولكن معرفة حدود المسموح والممنوع لا يكفي لحصول الامتثال، فقد يكون الخلل في عدم تفسير لماذا وضع لنا ديننا هذه الأحكام، أو عدم تقديمه بصورة تجعل الطالبات معتزات بهذه التقاليد الدينية وفخورات بها. ومن المحتمل أيضا وجود تقصير من الوالدين تعليما وعملا حيث تتهاون الأم في لباس طفلتها حتى تعتاد صبغة معينة ولا تستطيع أن تنتقل إلى غيرها، أو تقصر في تعليمها ضوابط اللباس والزينة وترغيبها في التزامها.

كما يدل غياب الحجاب الإسلامي أيضًا على الجهل من جهة أخرى وهي تصديق الكتابات المضللة الداعية إلى كشف الوجه باعتباره ليس واجبًا، مع إهمال ذكر حدود ما يجوز كشفه عند من أجازه، والأحوال التي لا يجوز فيها الكشف، والضوابط التي تلازمه.

---

[1] د. محمد إسماعيل المقدم – علو الهمة- بتصرف

٤- الانبهار بالتفوق التقني الغربي مقابل الجهل بانهيار قيمه الأخلاقية

وهذا يكون عبر وسائل الإعلام التقليدية والجديدة من أخبار وبرامج ترفيهية وبرامج تعليمية وغيرها، ويكون أيضا بالسفر إلى تلك البلاد للسياحة أو للدراسة. فترى الفتاة من مظاهر التقدم والحضارة والمدنية ما يأخذ بلبها وفؤادها، كاتساع الطرق وحركة المرور، ونظافة الشوارع والمؤسسات، وتسهيل الخدمات، إلى جانب السلوك الأخلاقي والإنساني الذي يجده من الأفراد والمؤسسات، كالصدق والوفاء وحسن التعامل، وغير ذلك[١] فترتبط تلك الصورة الحسنة بأولئك القوم بظاهرهم، وترغب في الوصول لما وصلوا وأن تكون بيئتها وشخصيتها بتلك الصورة التي رأت، وأيسر طريق لذلك على النفس العاجزة هو تقليد المظاهر. ولكن ليست الأزياء والمظاهر هي التي أوصلت القوم إلى ما وصلوا من تقدم فني وتقني. وإلا فأي سيارة لا تيسر إلا بسائق يرتدي البدلة، وأي حاسوب لا يعمل إلا أمام متبرجة؟!

إنه لخطأٌ بيّن أن تؤخذ حضارة أمة من الأمم بكل ما فيها من حسن وسيء، ونافع وغير نافع ولا ضار، ومن الخطأ أن يعزى التفوق إلى الزي.

"ولنفرض أن هناك طبيبا نجح في إجراء عمليات جراحية معقدة، أو مهندسا نجح في تصميم عمارة رائعة أو صانعا نجح في تصميم آلة متقدمة، ومع ذلك فسلوكهم الشخصي فيه اعوجاج واضح. فيهم من يأكل الخنزير، ومنهم من يشرب الخمر ومنهم من يتعامل بالربا، ومنهم من يسير كاشفا لعورته. فهل إنجازاتهم تمحو خطاياهم؟ أو خطاياهم تمحو إنجازاتهم؟ بالطبع لا. فلا صوابه يصحح خطؤه، ولا خطؤه يلغي صوابه. والعقل يقول: نأخذ منه الصواب الذي توصل إليه لأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ".[٢] وفي الوقت نفسه لا نقلده في خطئه.

٥- غياب القدوات الصالحة المؤثرة

---

[١] أحمد رشيد- الانبهار بالغرب وفساد التصور على موقع طريق الإسلام

[٢] لأستاذ أحمد البراء الأميري – مقال التربية الأساس الأول – مجلة المعرفة

فطرة الناس أنها تتشبه ببعضها وخاصة بأهل الفضل فيهم والزكاء والعلم. قال ابن تيمية :كم من الناس من لم يرد خيراً ولا شراً حتى رأى غيره – لا سيما نظيره – يفعله ففعله؛ فإن الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض؛ ولهذا كان المبتدئ بالخير وبالشر له من الأجر والوزر مثل من تبعه، كما في الحديث الصحيح: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة." رواه مسلم[١].

والحاجة إلى الاقتداء تزداد لدى المراهقين فلابد أن نعي بأن إحدى سمات مرحلة الشباب هو التقليد والتجريب والتي عادة تمتد من ٣ – ١٨ سنة مع امتدادها أحيانا لمدة أطول، إذا يسعى المراهق خلالها نحو البحث عن هويته."[٢]

فالمراهق مقلدٌ ولا بد، فإما أن يقلد الشخصيات المؤثرة الصالحة ويتأثر بهم ويتبنى أفكارهم، أو يقلد من هم على العكس ويتبنى أفكارهم.

وليس المقصود بغياب القدوات الصالحة انعدامها، وإنما غيابها حكمًا عن أعين الفتيات إعلاميا بمعنى "أن جهود المسلمة وإنجازاتها في الماضي والحاضر شبه مغيبة عن حاضر فتياتنا. ويقابله تشويه متعمد لصورة المرأة المسلمة. كما يقابل ذلك كم هائل من الغثائية الأنثوية التي لا تمثل قيم ديننا الحنيف ومبادئه بصورة صحيحة. في حين أن جهود المرأة الغربية وإنجازاتها هي محط الأنظار والمتابعة بصورة دائمة. فهذه قد أصبحت وزيرة ورئيسة دولة تشارك في الجيش وقيادة الطائرات إلخ.

بالإضافة إلى سعي دعاة التغريب والعلمنة لتصوير واقع المرأة المسلمة بأنه واقع مأساوي محزن. فهي متخلفة عن ركب الحضارة، بائسة، مقهورة... إلخ. وذلك لأنها الوحيدة في العالم التي يسمح لها بتقليد الغرب علنا."[٣]

فتياتنا في هذا الزمن بحاجة للأم القدوة والمعلمة القدوة والإعلامية القدوة حتى لا يكونوا ضحايا للإعلام الزائف والموضة الخادعة والفضائيات الفاتنة والنت المفتوح. وحين نجد القدوة الصالحة فهنا تستطيع الفتيات التعرف على حقيقة الأمر وأن النجاح ليس في التقليد وأن السعادة ليست في تفاهات الأمور بل في معاليها. والقدوة الحسنة لا يعدلها شيء في تربية الجيل لأننا دائما نتأثر بالسلوك أكثر من تأثرنا بالكلام. [٤]

ولكن في حال فقد القدوة الماثلة على أرض الواقع فإننا لا نعدم القدوات التاريخية، فغياب المظهر الإسلامي يدل على قلة القراءة في سير الصالحات من الصحابيات وغيرهن اللاتي أبعد ما يكون عن الانهماك في تزويق الأزياء فضلا عن التعري والتبرج. فمن عاشت الساعات بقراءة سير الصالحات فكأنها عاشت بينهن، وتفاعلت مع همومهن، وتشربت معتقداهن، ولم يتسع ذهنها لقبول الساقطات ومتابعتهن.

واليوم يُظهر لأول مرة في التاريخ نماذج إعلامية من فئة الأطفال غير صالحة للاقتداء بها، وهو ما يسمى بالمشهورات، وهي من العوامل المؤثرة في غياب المظهر الإسلامي.

٦- الحاجة إلى الهوية وتوكيد الذات

إن المظهر الرئيس للنمو النفسي والاجتماعي بالنسبة للمراهقين هو تشكيل هوية.

والفرد ينظر لنفسه قبل المراهقة بصفة الدور الذي يؤديه، كدور الابن أو الأخت الكبرى أو الطالب أو العضو في الفريق وهكذا. ولكن في مرحلة المراهقة يعاد التشكيل لبناء هوية جديدة مما يتطلب أحيانا التخلي عن أدوار قديمة، وبناء استقلالية أعلى عن الوالدين والأقارب. كما يحقق المراهقون هوياتهم الجديدة عادة بالتخلي عن بعض القيم والطموحات التي لديهم، واستبدالها بأخرى غيرها مما لدى الوالدين والمجتمع، وبتقبل الآخرين في نفس الوقت. [٥]

فقد يكون تخلي الفتاة عن اللباس الإسلامي من باب البحث عن هوية ورغبة في إثبات الذات خاصة حين يشكو المراهق من أن والديه لا يفهمانه، "ولذلك يحاول الانسلاخ عن مواقف الوالدين وثوابتهما ورغباتهما كوسيلة لتأكيد تفرده وتمايزه" [٦]

---

[١] سعيد بن محمد آل ثابت – مقال أهمية القدوة في حياة الناس عموما – موقع الألوكة

[٢] د. جاسم المرزوقي مجلة- صحيفة البيان الإماراتية - تحقيق غياب القدوة فراغ في حياة الشباب

[٣] المستشار الأسري والاجتماعي عامر الأسمري – استطلاع "القدوة: الإبرة المكسورة في بوصلة الإناث" -صحيفة المدينة

[٤] صحيفة المدينة المستشار الاجتماعي د. عبد الله الشمراني

[٥] د. رغدة شريم -سيكولوجية المراهقة

[٦] المراهقة: خصائص المرحلة ومشكلاتها -موقع المسلم

٧- الحاجة إلى الانتماء ومجاراة الرفاق

قد تكون الفتاة متمسكة بالمظهر الإسلامي من الطفولة إلى عمر معين ثم يبدأ المظهر بالغياب تأثرًا بمجموعة جديدة من الصديقات ومجاراة لهن لكي تحصل على القبول والانسجام في ظل هذه المجموعة. فالمراهق يتجه لتوسيع دائرة علاقاته الاجتماعية لتشمل رفاق اللعب والجيرة وشلة الأصدقاء[١] وذلك لأن إحساس الفرد بالأمن يتأتى من التشابه الحاصل مع أفراد هذه المجموعة. ففي بعض الأوقات التي يفتقد المراهق خلالها الثقة بالنفس وتكون التساؤلات لديه حول الهوية معقدة ومزعجة، ويصعب عليه الصمود كفرد قائم بذاته، عندها ينبثق الشعور بالراحة في ظل جماعة الرفاق. [٢] ومحاكاة الرفاق ليس حكرا على المراهقين، وليس سيئا بالضرورة. وهو ببساطة الميل لمجاراة قواعد الجماعة التي ينتمي إليها. فأساليب اللباس والطعام والتسلية تظهر لدى الأفراد في سن الخمسين والخامسة عشرة. [٣] وحين يغيب الوعي بأهمية المظهر الإسلامي وتضعف الهوية الإسلامية لدى الفتاة فحينئذ يسهل أن تجاري الرفيقات في الأزياء المستوردة والموضات المخالفة لدينها.

المطلب السادس: سبل التحصين

١- تحقيق الاعتزاز بالنفس

إن غياب المظهر الإسلامي لا يقع إلا باستبدال المظهر الغربي به، ولا يقع إلا بسبب ضعف الشخصية وشعور بالهزيمة النفسية، وفقد الثقة بالنفس ومن ثم اتباع النماذج الجاهزة من الغرب الكافر، الذي يعتقد فيه القوة، ويرى فيه القدوة التي ينبغي أن تقتدى.

فتقوية الشخصية المستقلة، وتحقيق الفردية والذاتية والاعتداد بالنفس لدى المسلم هو أول خط دفاعي لوقاية الفتاة المسلمة من التبعية. فترشد الفتيات إلى الكرامة التي يتمتع بها المسلم، وهي كرامة الإنسانية بأن خلقت في أحسن تقويم، وتزويدها بالعقل والفهم مما لم يحظ به الحيوان والنبات وغيرها من المخلوقات، وتكريم الإنسان بالعلم وإسجاد الملائكة له مما لم يحظ به الجن، واستخلافه في الأرض، وتسخير الكون له بنص القرآن، فإذا عرفت الفتاة

---

[١] ا. ضياء العرنوسي – محاضرة حاجات المراهقين

[٢] رغدة شريم- سيكولوجية المراهقة ص٢٧٢

[٣] رغدة شريم- سيكولوجية المراهقة ص٢٧٤

أنها مكرمة ومفضلة على غيرها ومتميزة في الكون، تولد لديها الشعور بأن لها كيانا مستقلا له مكانته ومنزلته في الوجود، مما يحميها من التقليد الأعمى الذي يعني إلغاء شخصيتها المستقلة.

كما ترشد الفتيات إلى مبدأ المسؤولية، وأن كل فرد مسؤول عن تصرفاته واختياراته كما قال تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ) فاطر:٨١ (فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ) يونس:١٠٨، واستشعار الإنسان الدائم لهذه المسؤولية يولد في نفسه الشعور بأنه كيان مستقل، كما أنه يجعله يفكر قبل السير في خطى الآخرين لأنه يعلم أنه مسؤول بمفرده في النهاية عن تصرفاته اختياراته مما يجعله في مقام الحذر واليقظة والتريث في تصرفاته، فلا يقبل ان يقلد غيره تقليدًا أعمى.

ومما يقوي الاعتزاز بالنفس ما حمّله الإسلام على عاتق كل فرد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما يجعله يعتد بنفسه ويثق بها لكونه كفؤا لتحمل المسؤولية. [١]

ومن ناحية نفسية فهناك ارتباط بين القدرة على ضبط الذات وتقدير الذات، فالمراهق القادر على توجيه نشاطاته وتعبيراته الانفعالية يشعر بالكفاية الذاتية على نحو أعلى من غيره. ولتنمية الإحساس بالكفاية الذاتية لدى المراهق لا بد من توفير ما يلي:

الاحترام والمعاملة الدافئة.

العناية الواضحة باهتماماته الحياتية

إتاحة قدر مناسب من الحرية لإشباع الاستقلالية لديه

اللجوء إلى المناقشات الهادئة معه

تقديم الحب غير المشروط

توفير القدوة الحسنة

اكتشاف ميوله واهتماماته والعمل على تطويرها

التغذية الراجعة الإيجابية[٢]

---

[١] التدابير الواقية من التشبه بالكفار

[٢] رغدة شريم –سيكولوجية المراهقة ص٢١٥

٢- تحقيق روح الجماعة

وفيها يكوّن الوعي بوحدة الأمة وترابط مصالح الفرد والجماعة، فتدرك الفتاة أن الخلل الذي يصيب فردا من أفراد الجماعة يعد خللا في جسم الجماعة كلها (مثل المؤمنين). فهذه الحقيقة تجعل أفراد المجتمع الإسلامي يتكاتفون على احترام النظام ومراعاة الحقوق وإزالة المنكرات، ويبتعدون عن كل ما يخالف الشريعة الإسلامية. (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها) فالتي تدرك أن تبرجها يسبب زهد الناظرين إليها في زوجاتهم ستقلع عنه حرصًا على مصلحة الجماعة.

كما أن تحقيق روح الجماعة والارتباط بالأمة يقوي الانتماء لصف المؤمنين، محبةً وتواصلا وتراحما وتساندا، بما لا يدع مجالا للانتماء لفكر أو جماعة شرقية أو غربية، واتباع تقاليدهم.

ولزوم الجماعة والائتلاف والاعتصام وترك التفرق أصول عظيمة من آكد أصول الإسلام ولهذا جاء النهي عن السفر منفردا لأنه من أسباب استحواذ الشيطان على الإنسان، والنهي عن الوحدة وهي أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده، والأمر بالاجتماع على الطعام إلى غير ذلك. وبالتزام الجماعة يكون المسلمون يدًا واحدة على من سواهم، ويجد المسلم أينما اتجه جماعة مسلمة تحتضنه تصون كرامته، فتحمى شخصية المسلم من الذوبان في كيان الجماعات الكافرة. [١]

٣- تحقيق الاعتزاز بالإسلام

الاعتزاز بالدين هو الشعور بالرفعة والغلبة والقوة على أعداء الله وآلهتهم، وهو الشعور بعلو الإيمان على الكفر أيا كانت ملته، وهو الشعور بأن الشعوب المسلمة هم الأعلون على سائر الشعوب. والاعتزاز بالشيء ناتج عن محبته، ومحبة الشيء ناتجة عن معرفته. لذا من الواجب على المربين غرس محبة الله في قلوب الناشئين وتكون بوسائل نذكر منها ثلاثة، الأول: تكوين التصور الصحيح عن ربهم بتعريفهم بكماله وجماله، فالإنسان مفطور على محبة الكمال والجمال. الثاني: تعريفهم بأن وجود الإنسان كله وقيامه ودوامه لا يكون إلا بالله، وأن رجوعه إليه، وتبيين أن الله خالق كل شيء ومالكه ورازقه فالإنسان أثر من صنع الله، تحيط به آثار قدرة الله من كل مكان، فكل شيء في الوجود يذكره بربه فتقوى صلته به فيحبه. الثالث: استنهاض غريزة عرفان الجميل بتوجيه الفكر لتلمس ألطاف الله ونعمه فالإنسان مجبول على محبة من أحسن إليه، وهكذا نجد القرآن يعرف الناس بربهم ويذكرهم بنعمة قبل أن يأمرهم وهذا واضح في مطلع سورة النحل. ومن عرف ربه امتلأ قلبه محبة له، واعتزازا به.

---

[١] التدابير الواقية

يقول القاضي عياض:

ومما زادني شرفا وتيهـــــا وكدتُ بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صـــيرتَ لي أحمد نبيا

٤- فضح الثقافة الغربية وإبراز معايبها

هل الحضارة الغربة بفكرها المادي، وتوجهاتها المبهرة، وإنجازاتها الاستهلاكية هي النموذج الذي يجب أن يُحتذي وتهفو إليه النفوس وتتطلع إليه العقول؟ هل الحضارة الغربية تخرج للبشرية النموذج الحق كما يريده الله وبالتالي نلهث لاقتفاء آثار هذه النماذج؟ هل هذه الحضارة ساهمت في إيجاد حالة من التوازن سواء عند معتنقيها أو مؤيديها؟

هل حياة الإنسان الغربي هي النموذج الذي يجب أن نهرول خلفه ونجاهر بتقليده، ونفاخر باعتناقه؟[١]

إن أية حضارة بغير قيم، وبغير أخلاق لا يحق لأي عاقل أن ينظر إليها بأي قدر من الإعجاب والانبهار؛ لأنها لانفعل غير إعلاء الجانب الحيواني على حساب الجانب الإنساني الذي هو أسمى وأجل ما يستحق السعي لتحقيقه." وكل محاولة لإسقاط القيم الخلقية عن أعمال الإنسان مما تصنعه الجاهلية المعاصرة حين تقول أن السياسة لا علاقة لها بالأخلاق، وأن الاقتصاد لا علاقة له بالأخلاق، وأن العلم لا علاقة له بالأخلاق، وأن الفن لا علاقة له بالأخلاق، وأن علاقة الجنسين لا علاقة له بالأخلاق ... كل محاولة من هذا النوع هو اتجاه غير علمي لأنه يخالف أصل الفطرة فضلا عن آثاره المدمرة في الحياة الإنسانية "[٢]

---

[١] طارق حسن السقا – مقال الانبهار بحضارة الغرب ذوبان للشخصية وفقدان للهوية – موقع صيد الفوائد

[٢] محمد قطب – حول التفسير الإسلامي للتاريخ

لقد نسى هؤلاء المنبهرين بحضارة الغرب أن هذه الحضارة أشبه ما تكون بسفينة ضخمة أنيقة جميلة. رتبت فيها أماكن للطعام، وأماكن للنوم، وأماكن للعب، وأماكن للتسلية. وأخذ صانعها يدعو الناس إلى ركوبها. وأخذ يشرح لهم كيف يأكلون، وكيف يشربون، وكيف يرقدون، وكيف يلعبون. حتى إذا سأله أحد الركاب: والى أين تذهب بنا هذه السفينة؟ أجاب: لا أدري. اركبوا فقط![1] لا هدف، لا غاية، لا مقصد، ولا مردود حقيقي يعود على ركاب هذه السفينة في هذه الرحلة غير إرضاء الشهوات والغرائز والملذات. وكل ما بعد ذلك فهو مجهول.

وأرجو أن تتخيل معي شخصا بسيطا يركب قاربه الصغير رأى هذه السفينة المبهرة. كيف ستكون نظرته إلى هذا البناء المبهر؟ وكيف ستكون نظرته إلى هذا البناء الهائل؟ أكيد أنه سينظر إليه بإعجاب وانبهار لا حدود لهما. انبهار لبنائها، وأضوائها، وفخامتها، وضخامتها، وزخارفها، ومباهجها. ولكن هذا المسكين – وهو يجدف في قاربه الصغير – لا يدري أن هذا البناء المبهر الضخم يسير على غير هدى، وأن مصيره الغرق والدمار لا محالة، وبالتالي هلاك ما فيه ومن فيه. إنه الهلاك، ولكنه الهلاك البطيء.

كذلك نظر بعض المنبهرين من أبناء أمتنا إلى قوة حضارة الغرب المادية والعلمية، والصناعية، والاقتصادية، والعسكرية، والسياسية..... الخ بنفس درجة انبهار راكب القارب الصغير للسفينة العملاقة. ونسى هؤلاء أن قوة الغرب المادية في شتى المناحي هي قوة هائلة بلا هدف ولا مردود حقيقي على أبنائها. وكذلك نظر هؤلاء إلى عاداتهم، وتقاليدهم، ونظمهم، وقوانينهم وظنوا –كراكب القارب الصغير– أن الذي حققته حضارة الغرب هو المعيار الذي يجب أن تقاس به الحياة. والحقيقة ليست هكذا.

٥– بيان خطر العولمة والدعوة للتمسك بالهوية الثقافية

العولمة تعني في معناها اللغوي: تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله. وهي تعني الآن... العمل على تعميم نمط حضاري يخص بلدا بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع. فالعولمة إلى جانب أنها تعكس مظهرا أساسيا من مظاهر التطور الحضاري الذي يشهده عصرنا، هي أيضا إيديولوجيا تعبر بصورة مباشرة، عن إرادة الهيمنة على العالم وأمركته.

---

[1] الشيخ عبد المجيد الزنداني –توحيد الخالق

وقد يخلط البعض بين العولمة والعالمية ويظن أن العولمة حركة طبيعة لتطور الاتصالات وسهولة الوصول للمعلومات، فيظن أنها تحديث بريء وحبقة من الزمن كغيرها من الحقب التي تسود فيها الأمة الغالبة. ولكن "العولمة شيء و"العالمية" شيء آخر. فالعالمية تفتح على العالم والثقافات الأخرى، مع الاحتفاظ بالاختلاف الثقافي وبالخلاف الإيديولوجي. أما العولمة فهي نفي للآخر وإحلال للاختراق الثقافي محل الصراع الإيديولوجي.

و"الاختراق الثقافي" يستهدف أول ما يستهدف السيطرة على الإدراك، اختطافه وتوجيهه، وبالتالي سلب الوعي، والهيمنة على الهوية الثقافية الفردية والجماعية.[1] والوسيلة لذلك هي الصورة السمعية البصرية.

وبالسيطرة على الإدراك، وانطلاقا منها، يتم "إخضاع النفوس"، أعني تعطيل فاعلية العقل، وتكييف المنطق، والتشويش على نظام القيم، وتوجيه الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك.[2]

ومن ثم يجب التوعية بما يجري في العالم عموما وما يخص بلادنا من غزو فكري واختراق ثقافي، والتأكيد على كون العولمة معاكسة لتيار التاريخ، مع تحذير الفوارق بين الشعوب والأمم "فليس من المحتمل أن توجد في يوم من الأيام ثقافة عالمية واحدة، وإنما وجدت، وتوجد وستوجد ثقافات متعددة متنوعة تعمل كل منها بصورة تلقائية، أو بتدخل إرادي من أهلها، على الحفاظ على كيانها ومقوماتها الخاصة"

وفي سبيل شحذ الهمم للاعتزاز بالهويات المحلية –فضلا عن الإسلامية– ننقل ما كتبه الاستاذ أبو الأعلى المودودي "ليس اختيار أمة لباس غيرها وطريقها للمعيشة إلا نتيجة وإعلان لما في هذه الأمة من (مركب نقص)، وبكلمة أخرى فإنها تعتبر نفسها أمة ذليلة، ليس عندها شيء تفتخر به، وأن أسلافها ما كانوا قادرين على أن يتركوا لها شيئا تحتفظ به وتعلن نسبته إليها دون خجل ولا غضاضة، وأن ذوقها القومي وفكرتها القومية في غاية من الدناءة والبلادة، وتعوزها الخصائص المعينة على الاختراع والإبداع، حتى أنها لا تستطيع أن تبع لنفسها أسلوبا للمعيشة أفضل. ولذا فإنها لكي تبدو للدنيا مهذبة متحضرة فإنها تستمد كل شيء من غيرها، وتعلن للدنيا بدون حياء ولا خجل أن الحضارة والمدنية والتهذيب والحسن والجمال والبراعة والأناقة إنما هي في حياة تلك الأمم التي تقلدها وترى السعادة في اقتفاء آثارها، وأن حياة هذه الأمم هي المقياس الحقيقي لكل كمال ورقي، بينما هي ما زالت تعيش على وجه الأرض منذ آلاف السنين شأن الأنعام والبهائم، وما استطاعت أن تخترع شيئا ذا قيمة.

---

[1] محمد عابد الجابري – العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات

[2] محمد عابد الجابري

ولعمر الحق أن أيه أمة إذا كانت عندها بقية من الغيرة والشهامة، ما جعلت من نفسها عنوانا لذلها وهوانها على هذا الوجه."[1]

[1] نقلا من كتاب التدابير الوقائية ص٣٨

الخاتمة

هذا ما تيسر عرضه بقليل من التفصيل حول ما يدل عليه غياب المظهر الإسلامي لدى الفتيات، وبقي الكثير من الدلالات ووسائل الوقاية، منها:

- تقوية الإيمان بالغيب والمقارنة بين تأقيت الدنيا وأبدية الآخرة
- إشغال الفراغ بالأعمال النافعة
- بناء النفس وتكميلها داخليا
- إثبات عالمية الإسلام والدعوة إليه
- عرض تجارب الداخلين في الإسلام
- بيان حقيقة الموضات
- التحصن بالأذكار وتقوية الصلة بالله
- غرس قيمة الحياء وتعزيزها
- إظهار بمحاسن الإسلام وحضارة المسلمين
- إيجاد شخصيات كرتونية مسلمة مؤثرة

الأمرُ في غاية الخطورةِ، ووجه كونهِ خطرًا أنَّ علماءَ السلوكياتِ البشريةِ يؤَكِّدون أنّ الإنسانَ يُكيّفُ سلوكَه انطلاقًا من الممارسةِ المستمرةِ لنمطِ الحياة المختلفة التي لم يعهدْها من قبلُ، وذلك من خلالِ التأثرِ بالقولِ أو الفعلِ أو المشاهدةِ، وهذه الثلاثيةُ النفّاذةُ هي التي تصوغَ البشرَ صياغةً ثقافيةً أُخرى على غيرِ القيمِ التي يؤمنونَ بها. ذلك أنّ الحسَّ، أيًّا كان ظاهريًّا أو وجدانيًّا، يقبلُ التَّشرُّب لهذه الثقافةِ مع طولِ الأَمدِ؛ مما يؤدي إلى قلةِ القناعةِ الذاتيةِ بموروثِه الثقافيِّ، وشيئًا فشيئًا حتى يصلَ إلى تفريغِ القيمِ الموروثةِ واكتنازِ الثقافةِ الوافدةِ.[1]

[1] صِرَاعُ القِيَمِ فِي ظِلِ الْعَوْلَمَةِ الْمُعَاصِرَةِ د.جمعان بن محمد الشهري